

**التعاون مع طوائف أهل القبلة
أحكامه وحدوده وضوابطه
”عند أهل السنة والجماعة“**

د. صالح بن غمر الله بن حسن آل حسن الغامدي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد

قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

المستخلص:

إن التعاون مع طوائف أهل القبلة من القضايا الحساسة، التي يشوبها في كثير من الأحيان الغش وعدم الوضوح لدى بعض المنتسبين إلى الإسلام، إما لقلّة في العلم والفقه، وإما لسوء في القصد أو لهما مجتمعين، وكان من نتائج هاتين الأفتين أن ظهر في مجتمع المسلمين حيال هذه القضية مواقف ينحو بعضها إلى التشدد بلا بينة، وأخرى تنحو إلى التساهل والتنازل المفضي إلى التفريط في الأصول والثوابت التي يقوم عليها دين الإسلام في عقيدته وشريعته. وفي مقابل هذه الاتجاهات والمواقف يأتي مذهب أهل السنة والجماعة الذي يتمثل منهج الهدي النبوي الأقوم الذي سار عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته وأئمة الإسلام من بعده، ليجلي بوضوح الموقف العدل الذي يجب اتباعه في هذه القضية بتفاصيلها ومواقفها المختلفة بلا إفراط أو تفريط.

من هذا المنطلق جاء هذا البحث ليلسط الضوء على منهج أهل الحق في هذه القضية بتفاصيلها، لكشف غامضها، وبيان الضوابط والأحكام لمسائلها، وفق ما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة وسار عليه سلف الأمة. ومن أبرز نتائج هذا البحث وجود فرق كبير بين التعاون مع طوائف أهل القبلة على أمر فيه خير ونفع وقوة للمسلمين أو في دفع ما فيه ضرر وخطر محقق مستبين، وبين الانتساب إلى المذاهب البدعية أو الرضى بما هي عليه من الباطل وعدم إنكاره.

الكلمات المفتاحية: أهل القبلة - أهل السنة والجماعة - صور التعاون - محاذير التعاون - شروط التعاون.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن قضية التعاون مع طوائف أهل القبلة من القضايا الحساسة، التي يشوبها في كثير من الأحيان الغش وعدم الوضوح لدى بعض المنتسبين إلى الإسلام، إما لقلّة في العلم والفقه، وإما لسوء في القصد أو لهما مجتمعين، وكان من نتائج هاتين الأفتين أن ظهر في مجتمع المسلمين حيال هذه القضية مواقف ينحو بعضها إلى التشدد بلا بينة، وأخرى تنحو إلى التساهل والتنازل المفضي إلى التفريط في الأصول والثوابت التي يقوم عليها دين الإسلام في عقيدته وشريعته.

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

وفي مقابل هذه الاتجاهات والمواقف يأتي مذهب أهل السنة والجماعة الذي يتمثل منهج الهدي النبوي الأقوم الذي سار عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته وأئمة الإسلام من بعده، ليجلي بوضوح الموقف العدل الذي يجب اتباعه في هذه القضية بتفاصيلها ومواقفها المختلفة بلا إفراط أو تفريط.

ولا شك أن عدم تبين هذا المنهج وخفاءه في واقع بعض المناهج والتيارات والجماعات المنتسبة للإسلام، قد أضر بهم وبالمسلمين في دينهم وديناهم على حد سواء من جهة خلطهم بين ما هو حق وما هو باطل، وتفريقهم بين التماثلات، أو تكلف الجمع بين المتضادات أو المتناقضات، وكان من صورته المؤسسة في واقعهم تفريطهم في مصالح تحصل بالاجتماع والتعاون في مواطنها التي ندب الله إليها ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، أو عدم تمييز الخبيث من الطيب (من الاعتقادات والأعمال) في المواقف والأحوال التي تقتضيها وتناسبها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

١. التعاون مع طوائف أهل القبلة من الموضوعات الحساسة وذات الأهمية الكبرى، إذ الحديث حولها حديث عن واقع يعيشه المسلمون ويؤثر في حالهم ومثلهم من ضعف وقوة وفي تعایشهم واستقرارهم وقراراتهم المصيرية.
٢. دقة الحديث في هذا الموضوع والأحوال الملحة التي تدفع لتناوله بالبحث والنظر وقد تبين من كلام علماء الإسلام ونصوصهم أن الحديث في هذه المسائل والدخول في مضائقها يعد من أشق المهمات على النفوس وأخرجها لما يتطلبه من دقة في العلم والنظر وتجرد في تحري العدل والقسط مع كل أحد وما يواجهه من يتولى هذه المهمة من مواقف وأحوال تحتاج إلى سياسة وبعد نظر في فقه المثالات ومعرفة المصالح والمفاسد وتقديرها وأولها بالاعتبار مع الوعي التام بنماذج الكيد والفشل الحرية بالإدكار.
٣. الحث على التعاون وما يؤل إليه من الفوائد إذا أخذ بعلم ودين وجانب الحذر والتحذير من مكر أهل الزيغ والفتنة وما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في مواقفه منهم من حذر وحيطة ودهاء.

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

٤. تسليط الضوء على منهج أهل الحق في هذه القضية بتفصيلها، لكشف غامضها، وبيان الضوابط والأحكام لمسائلها، وفق ما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة وسار عليه سلف الأمة.

أهداف البحث:

يهدف البحث للكشف عن:

١. مفهوم التعاون مع طوائف أهل القبلة وحدوده.

٢. صور ومجالات التعاون المثمرة والممكنة مع طوائف أهل القبلة.

٣. كيفية الحذر في التعامل مع المناوئين وأهل الريبة من المنافقين.

٤. شروط ومحاذير التعاون مع طوائف أهل القبلة.

الدراسات السابقة:

لم تُعُنْ دراسة أو بحث بموضوع: التعاون مع طوائف أهل القبلة. أحكامه وحدوده وضوابطه" عند أهل السنة والجماعة"، غير أن هناك دراسات لامست قضية فرعية تأتي في سياق هذا البحث، ومنها :

١. الاتفاق بين أهل القبلة في أصول الاعتقاد، رسالة دكتوراه في العقيدة الإسلامية، للباحث/ صفوان أحمد مرشد البارقي، بدولة السودان، بجامعة أم درمان، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، للعام الجامعي ٢٠٠٨م، وقد لامس البحث هذه الدراسة في التعريف بأهل القبلة، والتعريف بأهل السنة والجماعة، ثم سلك كل من البحث والرسالة الجامعية مسلكاً مغايراً تماماً في قضاياها ومسائلها وفروعها وتحليلها.

٢. التعاون مع أهل القبلة (الشروط والمحاذير)، مقال منشور بمجلة البيان، العدد ٢٣٠، عام ٢٠٠٦م، للدكتور/ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، حيث نوه الباحث في مقالته المختصرة إلى سبل التعامل مع أهل القبلة، وحجم التعاون معهم.

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

أما بحثي هذا فقد جاء ليميط اللثام عن هذه القضية من خلال عرضه لصور ومجالات التعاون المثمرة والممكنة مع طوائف أهل القبلة، وشروط ومحاذير التعاون مع طوائف أهل القبلة، وغير ذلك من المسائل ذات الصلة.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، لما له من فائدة في موضوع هذا البحث، إذ يتناسب مع النصوص الشرعية وجمعها مع أقوال وآراء العلماء، ثم اتبعت الخطوات الآتية:

- عرفت بما رأيت أنه بحاجة إلى تعريف من الألفاظ والمصطلحات والأشخاص والأماكن.
- خرجت الأحاديث، وما كان منها خارج الصحيحين اجتهدت في ذكر درجتها من كلام الأئمة.
- خرجت الآيات في متن البحث.
- عملت فهرسا للمصادر والمراجع .

خطة البحث:

انتظم هذا البحث في مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج، والخطة.

التمهيد: وفيه التعريف ببعض المصطلحات والألفاظ الواردة في عنوان البحث.

المبحث الأول: مفهوم التعاون مع طوائف أهل القبلة وحدوده.

المبحث الثاني: ما جاء في الحث على مبدأ التعاون في الخير والتأييد للحق وقبوله.

المبحث الثالث: من صور ومجالات التعاون المثمرة والممكنة مع طوائف أهل القبلة.

المبحث الرابع: ما ورد في التأكيد على أخذ الحذر والاحتياط في التعامل مع المناوئين وأهل الريبة من

التعاون مع طوائف أهل القبلة: أحكامه وحدوده وضوابطه

المناققين.

المبحث الخامس: شروط ومحاذير التعاون مع طوائف أهل القبلة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شروط وضوابط التعاون معهم.

المطلب الثاني: محاذير التعاون معهم ومسوغاتها.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وفهرس المصادر والمراجع.

التمهيد وفيه التعريف بالمصطلحات الآتية:

(التعاون) (الطوائف) (المخالفون) (أهل القبلة) (أهل السنة والجماعة).

١. التعاون .

التعاون في اللغة مأخوذ من (العون)، والعون هو: الظَّهير على الأمر، ويجمع على أعوان، وأعانه على الشيء: ساعده، واستعان فلانٌ فلاناً واستعان به: طلب منه العون، وتعاون القوم: أعان بعضهم بعضاً، والمعوانُ: الحَسَنُ المعونة للنَّاسِ، أو كثيرها.^(١)

والمقصود بالتَّعاون هنا: التوافق والتكاتف، والمساعدة على تحقيق ما فيه نفع ومصلحة عامة، أو خاصة، أو دفع مفسدة ظاهرة، أو باطنة والوقوف مع الحقِّ وتحقيق العدل ابتغاء الأجر من الله سبحانه.

٢ _ الطوائف.

جمع طائفة: وهي في اللغة الجزء من الشيء، والجماعة والفرقة، جاء في المعجم الوسيط: "الطائفة: الجماعة والفرقة، وفي التنزيل ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. (الحجرات: ٩)، والطائفة: جماعة من

(١) لسان العرب: ابن منظور (٢٩٨/١٣)، تاج العروس: الزبيدي (٤٣١/٣٥).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به، والطائفة: الجزء والقطعة"^(١)، وقد وردت الإشارة إلى الطائفة بالمعنى اللغوي في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤)، وقوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩)

٣- المخالفون .

جمع مخالف: مأخوذ من الفعل (خالف) يقال: خالف فلان، يخالف، خلافاً، ومخالفة فهو مخالف، وخالفه في الرأي: أي عاكسه وأتى برأي معاكس لرأيه^(٢)، والمقصود بالمخالفين في هذا البحث: المنتسبون للإسلام ممن أحدث في دين الله ما لم يأذن به الله ولا رسوله، وخالف مذهب أهل السنة والجماعة في شيء من أصول الدين ومسائل الاعتقاد التي لا يسوغ الخلاف فيها ويبدع من أحدث فيها ما لم يكن عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو اعتقاد.

٤- أهل القبلة.

أهل القبلة: يطلق هذا المصطلح ويراد به: كل من يدعون الإسلام ويتنسبون إليه ويستقبلون الكعبة، وإن كانوا من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي ما لم يحدد أو يكذب بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أو يأتي ناقضاً من نواقض الإسلام عالماً مختاراً^(٣)، والعمدة في هذا المعنى ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك . رضي الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل

(١) المعجم الوسيط (٥٧١/٢).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢٥١/١).

(٣) انظر: شرح الطحاوية/ابن أبي العز (٢٩٢)، مجموع الفتاوى (٩٠/٢٠).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

ذبيحتنا فذلك المسلم، الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته" (١)

٥ - أهل السنة والجماعة. هذا المصطلح مكون من لفظين:

الأول: السنة وهي في اللغة: الطريقة أو السيرة محمودة كانت أم مذمومة (٢)، ويراد بها هنا: الهدى الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه علمًا، واعتقادًا، وقولًا، وعملاً، وقيل: الأخذ بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد. (٣)

الثاني: الجماعة وهي في اللغة: عددٌ كل شيءٍ وكثرتُه (٤)، واختلف العلماء في تحديد معناها اصطلاحاً على أقوال: فقيل هم الصحابة، وقيل: أهل العلم والفقه والحديث، وقيل: الجماعة ما وافق الحق ولو قل المتمسكون به، كما قال ابن مسعود: "الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك"، وقيل الجماعة: هي السواد الأعظم المجتمعون على إمام يحكم بالشرع ويجانب الهوى والبدعة.

ولعل القول الراجح في تعريف مصطلح الجماعة هو ما يشمل جميع هذه الأقوال، فهم الصحابة رضوان الله عليهم بما تمثلوه من منهج الإسلام الحق، وهم العلماء والفقهاء كونهم حجة الله على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين، وهي جماعة المسلمين المنضوية تحت راية إمام يحكم بشرع الله ويقوم حدوده. (٥)

فالمقصود بأهل السنة والجماعة بناء على ما ذكر: أنهم هم المستمسكون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وهدى في الاعتقاد والقول والعمل الذين اجتمعوا على الحق وتواصوا به وجانبوا الابتداع في الدين ونهوا عنه. (٦)

(١) رواه البخاري كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، (٨٧/١).

(٢) انظر: لسان العرب: (٢٢٥/١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٥٨/٣).

(٤) انظر: لسان العرب: (٥٤/٨).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: (٢٧١/٢).

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٣٢)، الاعتصام للشاطبي (٣٧/١) مجموع الفتاوى (١٥٧/٣، ٣٥٨).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

المبحث الأول: مفهوم التعاون مع طوائف أهل القبلة وحدوده.

يقصد بالتعاون مع طوائف أهل القبلة: تمكينهم أو مشاركتهم أو الاستعانة بهم في أعمال ومواقف خاصة أو عامة يتحقق بها مصلحة أو دفع مضرّة أو تلجئ إليها ضرورة، وإذا كان هذا مفهوم التعاون معهم فإن من الأسئلة التي قد ترد في هذا الباب سؤال يدور حول حدود ومجالات وأشكال التعاون معهم، وهل في أحكام الشريعة ومقررات العقيدة وسير السابقين من السلف الصالحين والأئمة في الدين ما يسوغ التعاون معهم فيما فيه مصلحة ونفع وقوة للإسلام والمسلمين أم لا؟ وهل يلزم من التعاون معهم في ذلك إقرارهم أو الرضا بما هم عليه من مخالفات وانحرافات؟ والحقيقة أن في المنتسبين إلى الإسلام. قديمًا وحديثًا. اتجاهات متعارضة في هذا الباب^(١)، فهناك من يرى أنه لا مجال للتعاون مع طوائف أهل القبلة بجميع أصنافهم ومذاهبهم لأنهم مبتدعة ضالون، وأن التعاون معهم إنما يفضي إلى فساد الاعتقاد والرضا بما عليه أهل الضلال، فليس لهم إلا الهجر والزجر، ويقابلهم في ذلك من يرى أنه يكفي مجرد الانتساب إلى الإسلام في تعديل كل من انتسب إليه وقبوله على ما هو عليه بدعوى الإبقاء على وحدة الصف وتكثير السواد فيفطر في أصول عقديّة قطعية وقواعد شرعية مرعية.

ولا شك أن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وأن هاذين الاتجاهين المتضادين على خلاف المذهب الحق الوسط الذي تؤيده الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة وفعل سلف الأمة، وقد جاءت قواعد الدين وأصول الشريعة - المبنية على هاذين الأصلين - تأمر بالتعاون على البر والتقوى مع كل من يتحقق على يديه ذلك كائن من كان^(٢)، وحثت أهل الإيمان على طلب الحق وتحريره وقبوله من القائل به والداعي إليه ولو كان عدوًا ظاهر العداوة، كما أكدت في المقابل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورد الباطل وكشفه وعدم مجارة صاحبه ولو كان أقرب قريب ومجاهدة الكافرين والمنافقين وهجر المبتدعين.

(١) مجموع الفتاوى: (٢١٣/٢٨).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٣٣/١).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

كما أن أصول الشريعة وقواعد الملة تحث على تحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، وهي ترجح في ذلك خير الخيرين وتدفع شر الشرير.

ومن هذا المنطلق فإن التعاون في المعروف مع طوائف أهل القبلة ينبغي أن يكون في ضوء هذه القواعد والأصول والمقاصد الشرعية، وليس مجرد ما تحكم به العقول القاصرة أو تمليه أوهاام الأنفس الحائرة، فإن التعاون مع أهل القبلة لا يتحقق نفعه إلا بإتباع نصوص الوحيين الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

وإن مما ينبغي أن يؤكد عليه أن هناك فرق كبير بين التعاون مع طوائف أهل القبلة على أمر فيه خير ونفع وقوة للمسلمين أو في دفع ما فيه ضرر وخطر محقق مستبين، وبين الانتساب إلى المذاهب البدعية أو الرضى بما هي عليه من الباطل وعدم إنكاره فإنه لا يلزم من التعاون معهم الوقوع في هذه المحاذير والمنزقات فيما يقرره أهل الحق ويسلكونه، فمفهومهم للتعاون لا يعني التخلي عن شيء من خصائصهم الاعتقادية والمنهجية أو أن يتهاونوا مع مخالفهم في إنكار المنكرات وكشف البدع والرد على الضلالات والمخالفات ومناصحتهم بالحجة والبرهان.

وأحوالهم وسيرتهم في التعامل مع مخالفهم كانت بعلم وعدل ورحمة فيدعون مخالفهم إلى الحق بصدق وإخلاص وتجرد وينصحون لهم في ذلك ويجتهدون أيما اجتهاد في هدايتهم وإرشادهم ويصبرون على أذاهم وتعديهم وبغيهم ولا يظلموهم حتى وإن كانوا معتدين ظالمين.

ويؤدون مع موافقيهم ومخالفهم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة قولاً وعملاً، ويوفون الكيل والميزان بالقسط ولا يبخسون الناس أشياءهم ويزنون الأمور بالعدل والحكمة ولأجل تحقيق هذا المقام يرتكبون أخف الضررين، ويدفعون أعظم المفسدتين، ويسلكون أهدى الطريقتين، ويختارون أيسر الأمرين، ولذلك فإن المظلوم من كل أمة وطائفة يأوي إلى عدلهم ويثق في علمهم طالب الحق من كل ملة ونحلة^(١)، لكن كل من قل علمه وقصر نظره عن الجمع بين التمسك بأصول السنة وبين التعامل الشرعي مع المخالفين من طوائف أهل القبلة قد يظن أن هؤلاء المخالفين تسقط كل حقوقهم الشرعية أو أن العدل معهم ضعف وتهاون أو أنه لا يجوز بحال التعاون معهم

(١) منهاج السنة، ابن تيمية (١٥٧/٥)، الرد على البكري، ابن تيمية (٢٥٦، ٢٥٧).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

فيما فيه نفع وبر وخير للمسلمين، وقد يظن بعض هؤلاء أن نصرة الدين لا تكون إلا من أهل الطاعة الثابتة والاتباع الكامل، مع أن الله عز وجل قد يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم لاسيما في حال القتال أو مجابهة الأعداء بالقلم واللسان والسيف والسنان، ولهذا كان من أصول السنة الحج والجهاد مع كل بر وفاجر من أهل القبلة^(١).

ومادام هذا الجهاد المقصود منه النكاية في عدو الدين المستبين الذي لو تسلط لكان ضرره أعظم من تسلط من تنقصه شروط العدالة والاستقامة، فلا مانع من التعاون مع من يكون فيه نقص في عدالة أو استقامة لتحقيق هذا المقصود الكبير مع وجود هذا النقص المعتفر في جانبه.

ولا مانع من التعاون مع بعض المخالفين للحق في المتفق عليه معهم من أصول الدين ومصالح الدنيا ضد من هم أغلظ منهم في المخالفة والابتداع وفقاً لقاعدة ارتكاب أخف الضررين.

بل إن الكفر بما أنه يتفاوت في درجاته من الأخف إلى الأغلظ فلا مانع وفق هذه القاعدة من التعاون مع أهل الكفر الأصغر لدراء خطر الكفر الأكبر، وقد يتم التعاون مع بعض الكفار والمشركين - وإن كان كفرهم وشركهم صريحاً مقطوعاً به- دفعاً لكفر أشد منه عداوة أو خطراً على المسلمين، وفي آيات الكتاب العزيز ما يشير إلى أن القرآن اعتبر النصارى - وإن كانوا كفاراً مشركين - أقرب إلى المسلمين من المجوس عبدة النار، لأن النصارى هم أهل كتاب ودين سماوي كان صحيحاً ومقبولاً قبل التحريف وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا حزن المسلمون لانتصار الفرس الوثنيين أولاً على الروم النصارى، وفرح لذلك مشركو مكة لأنهم يرون أن المجوس أقرب إلى عقيدتهم الوثنية من النصارى، فنزل القرآن يبشر المؤمنين بقرب انتصار الروم النصارى على الفرس الوثنيين وحينئذ يفرح المؤمنون بهذا النصر الذي فيه بشارة لهم وتأيداً على عدوهم قال تعالى: (الم. غَلَبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعُدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (الروم: ١ - ٤).

(١) انظر: شرح الطحاوية: (٣٦٥)

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

المبحث الثاني: ما جاء في الحث على مبدأ التعاون في الخير والتأييد للحق وقبوله.

في الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين الكثير من النصوص التي تؤكد على هذه المعاني وتفصيل القول فيها ومن هذه النصوص:

• من نصوص القرآن الواردة في هذا المعنى.

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات الدالة على مبدأ التعاون في الخير والحث عليه مع كل من يتحقق على يديه ذلك من البشر كائناً من كان، وطلب العدل والجنوح إلى السلم إذا اقتضاه الحال في الوصول إلى الحق وكلمة السواء مع الخصوم وأصناف المخالفين وما فيه خير ومصالحة راجحة في الدين والدنيا لعموم الخلق ومن ذلك: قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُوْلُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (٦٤: آل عمران). وقوله تعالى: (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٦١: الأنفال). وقوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٢: المائدة). وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة.٨).

هذه الآيات الكريمة وما في معناها ترد في القرآن في مواضع عدة ومناسبات مختلفة حتى إن بعضها ورد في سياق التعامل مع الكفار لتعني أنه حتى الكفار المحاربين فضلاً عن المنتسبين للإسلام لو أبدوا تعاوناً فيما هو خير ومعروف، وكف عما هو شر وإثم وعدوان أو قدموا خطة رشد تعظم فيها الحرمات وتقال فيها العثرات وتؤمن فيها السبل ويعم السلم وتنمي خيراً وتمنع شراً لأجبيوا لذلك.

ولأجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية لما بركت ناقته وامتنعت عن متابعة المسير إلى

د. صالح بن غمر الله بن حسن آل حسن الغامدي

مكة وقال الناس: حَلَّ حَلِّ^(١)، فَأَلْحَتْ، فَقَالُوا: خَلَّأَتْ^(٢) الْقَصْوَاءَ، خَلَّأَتْ الْقَصْوَاءَ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خَلَّأَتْ الْقَصْوَاءُ وما ذَاك لها بِخُلُقِي، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ" ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي حُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْظَيْتُهُمْ إِيَّاهَا"^(٣)، وقوله: لا يسألوني.. يريد كفار قريش الذين وقفوا في وجهه ليصدوه عن مقصده وهو العمرة إلى البيت الحرام، قال الخطابي: "وقوله: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي حُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْظَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، يريد والله أعلم المصالحة والجنوح إلى المسالمة وترك القتال في الحرم والكف عن إراقة الدماء فيه، وهو معنى تعظيم حرمت الله."^(٤)

• من نصوص السنة الواردة في هذا السياق.

جاء في الأحاديث والأخبار الثابتة عن رسول الله ما يدل على هذا المبدأ الأصيل مبدأ التعاون في الخير والحث عليه مع كل من يتحقق على يديه ذلك من البشر كائناً من كان، وما فيه خير ومصلحة راجحة في الدين والدنيا لعموم الخلق ومن ذلك:

. ما ورد في الحث على التعاون على البر والتواصي بالحق:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً"^(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه..."^(٦)، وقال صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم

(١) يقال هذا اللفظ في زجر إناث الإبل خاصةً. لكي تنهض، ينظر: تاج العروس (٣٣٦/٢٨)، لسان العرب (١٩٧/١٤).

(٢) يقال: خَلَّأَتْ الناقة خلاءً أي لم تريح مكانها تعسراً منها، وخَلَّأَتْ الناقة حرنت وبركت من غير علة، ينظر: مختار الصحاح (٩٤).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٧٣١) (١٩٣/٣).

(٤) معالم السنن في شرح سنن أبي داود " (٣٢٨/٢).

(٥) رواه البخاري (١٢/٨) ومسلم (١٩٩٩/٤).

(٦) رواه البخاري (١٢٨/٣) ومسلم (١٩٨٦/٤).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا المعنى: "حياة بني آدم وعيشتهم في الدنيا لا يتم إلا بمعاونة بعضهم لبعض في الأقوال، أخبارها وغير أخبارها، وفي الأعمال أيضاً"^(٢)، وقال أبو الحسن العامري: "التعاون على البرِّ داعية لاتِّفاق الآراء، واتِّفاق الآراء مجلبة لإيجاد المراد، مكسبة للوداد"^(٣).

. ما ورد في أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر:

ففي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"^(٤)، ومعنى الحديث بينه ما ورد في سببه، وهو أن رجلاً ممن قاتل مع المسلمين في إحدى المعارك لما أصيب قام وقتل نفسه، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك، فمعناه أن الله - عز وجل - قد يجعل من أفعال بعض الناس سبباً لنصرة هذا الدين وإن لم يكن قصد ذلك الشخص هذه النصرة، ولو لم يكن هذا الشخص مؤمناً، والرجل الفاجر يشمل الكافر، وقال بعض شراح الحديث: إن معنى الرجل الفاجر يشمل الكافر والمسلم الذي عنده بعض المعاصي^(٥).

. وما ورد في أن الله يؤيد هذا الدين بأناص لا خلاق لهم:

في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَيُؤَيِّدَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِقَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ"^(٦)، وعلى

(١) رواه البخاري (١٠/٨) ومسلم (١٩٩٩/٤).

(٢) الفتاوى الكبرى (٣٦٤/٦).

(٣) البصائر والذخائر، لأبي حيان التُّوحِيدِي (١٤٨/٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الجهاد والسير. باب ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر (رقم ٣٠٦٢) (٧٢/٤)، ومسلم في صحيحه. كتاب الإيمان. باب غلظ تحريم الإنسان نفسه... (رقم ١١١) (١٠٥/١).

(٥) انظر: أضواء البيان. الشنيطي (١٩٩/٢). والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، (٣٢٠/١).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٥/٣٤) تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط. ط. دار الرسالة. قال الشيخ الأرنؤوط: الحديث: صحيح لغيره، وابن حبان في

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

هذا فالمسلم العاصي والفاسق قد يحدث الله على أيديهم ما يكون سبباً في نصرة هذا الدين، وفي هذا إشارة إلى أن العاصي والفاسق ينبغي أن لا يحتجوا بسبب عصيانهم بعدم العمل لهذا الدين.

قال ابن حزم رحمة الله بعد إيراد هذا الحديث: "فهذا يبيح الاستعانة على أهل الحرب بأمتالهم وعلى أهل البغي بأمتالهم من المسلمين الفجار الذين لا خلاق لهم" (١).

. ما جاء في الحث على طلب السلامة والسعي في صلاح الأحوال والبعد عن الفتن: في الحديث عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي اخْتِلَافٌ، أَوْ أَمْرٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ السَّلْمَ، فَافْعَلْ" (٢).

ويؤيده حديث: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (٣)، أي أن تكون ممن يسلم الناس من لسانه ويده، وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن المسلم ينبغي له أن يسعى في صلاح الأحوال واجتماع الكلمة والتعاون على الخير والبعد عن الفتن وما يهيجها أو أن يكون رأساً فيها، وبهذه الأخلاق والمواقف تنتظم المصالح وتأمين السبل وتصلح الأحوال وتقام الشعائر.

• المناهج والقواعد العقدية لمذهب أهل السنة والجماعة التي جاءت لتحقيق هذه المقاصد.

مناهج وقواعد مذهب أهل السنة والجماعة فيها ما يؤكد على الأخذ بمبدأ التعاون على الخير والعدل في معاملة الخلق والسعي في صلاح الأحوال واجتماع الكلمة، ونبد الفرقة وإعمال هذا المبدأ مع كل من يتحقق معه ذلك على اختلاف الأمصار وتعاقب الأعصار ومنها:

صحيحه (٣٧٦/١٠)، رقم (٤٥١٧) وابن حزم في المحلى (٣٥٦/١١).

(١) المحلى (٣٥٦/١١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند علي بن أبي طالب (١٠٦/٢)، (الحديث ٦٥١ - ٧١٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١١/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإيمان... (٦٥/١).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

. مشروعية صلاة الجمعة والجماعة خلف كل برّ وفاجر من أهل الإسلام: فقد قرر أئمة أهل السنة في عقائدهم هذا الأمر وأن الصلاة خلف كل مسلم مستور جائز باتفاق الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين^(١)، وقد عد بعض الأئمة عدم اعتقاده مما يخل بالاعتقاد^(٢) لما يترتب على عدم القيام به وامتناله من الفتن والفرقة وفساد ذات البين.

. مشروعية الصلاة على من مات من أهل القبلة: بيّن أئمة السنة مشروعية الصلاة على من مات من أهل القبلة جرياً على الأصل في أخذ الناس بظاهر حالهم دون التفتيش عما في قلوبهم^(٣)، (قال محمد بن سيرين: "لا نعلم أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا من غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثماً"، وقال إبراهيم النخعي: "لم يكونوا يجربون الصلاة عن أحد من أهل القبلة"، وقال عطاء بن رباح: "صل على من صلى إلى قبلك"، وقال أبو إسحاق الفزاري: "سألت الأوزاعي وسفيان الثوري هل تترك الصلاة على أحد من أهل القبلة وإن عمل أي عمل؟ قال: لا")^(٤).

. مشروعية الحج والجهاد في سبيل الله مع أولي الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم: شملت عقائد أهل السنة والجماعة مشروعية الحج والجهاد في سبيل الله مع أولي الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة^(٥)، وبناء على هذا الأصل خرج كثير من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين في جيوش الفتح أو الدفع التي أنفذها الخلفاء والأمراء مع أن في أولئك الخلفاء والأمراء أو قادة تلك الجيوش من قد عرف بالظلم أو الفجور.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٥٤٢/٤).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (١٥٤/١).

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (٤٧٧/٢).

(٤) شرح اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (١٠٥٥/٥).

(٥) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين، (٢٨١).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

• أقوال العلماء وفتاواهم في تأييد الحق وقبوله والتعاون على الخير^(١):

مما يستحضر في هذا المقام أن أئمة الإسلام وعلمائهم قد أفتوا بجواز أخذ العلم عن المبتدعة بشروط ذكرها لمن سألهم عنها، ومن ذلك قول سفيان الثوري لما سأله بعضهم عن أخذ الحديث عن ثور بن يزيد الكلاعي وهو ثقة ثبت في الحديث، لكنه رُمي بالقدر، فقال: "خُذُوا عَنْ ثَوْرٍ، وَأَتَقُوا قَرْنَيْهِ"^(٢)، يعني ما رمى به من القدر والنصب، وقال يعقوب بن يوسف المطوّعي - وهو أحد تلاميذ أحمد الثقات الأثبات - كان عبد الرحمن بن صالح الأزدي رافضياً، وكان يغشى أحمد بن حنبل، فيقرّبه ويدنيه، فقيل له: يا أبا عبد الله، عبد الرحمن رافضي، فقال: "سبحان الله! رجلٌ أحب قوماً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، نقول له: لا تحبهم؟! هو ثقة"^(٣).

ولما أنكر خلف بن سالم على يحيى بن معين ذهابه إلى هذا الراوي (عبد الرحمن بن صالح الأزدي)، قال له ابن معين: "اغْرَبْ، لا صَلَّى الله عليك، عنده والله سبعون حديثاً، ما سمعت منها شيئاً".

وقال عنه ابن معين مَرَّةً أُخْرَى: "ثَقَّةٌ صِدْقٌ شَيْعِيٌّ، لَأَنْ يَخْرَجَ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكْذِبَ فِي نَصْفِ حَرْفٍ"^(٤)، وقال الذهبي في أبان بن تغلب: شيعيٌّ جَلْدٌ، لكنه صدوق، فَلَنَّا صِدْقُهُ، وَعَلَيْهِ بِدَعْتُهُ"^(٥)، ونحو ذلك، لأن مصلحة تحصيل العلم والروايات التي عندهم مع تيقظهم وإتقانهم أعظم من مفسدة القُرْب منهم، إذا رُوِعت شروط ذلك. وقد تضمنت فتاوى وأقوال كبار علماء الأمة من المتقدمين والمتأخرين من أهل الحق ما يؤيد هذا المبدأ وهو التعاون على الخير والبر والتأييد للحق المعترف شرعاً مع كل من يتحقق على يديه ذلك من مختلف الاتجاهات والمذاهب وأن تحقيق هذه الغاية يعد من المقاصد الشرعية والمناطات الحكمية في الشريعة المحمدية التي

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة" جمع الدويش (٢٣٧/٢) ط/العاصمة، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة" ط/ دار القاسم للنشر (١٦٦٦-١٦٧٠)

(٢) تهذيب التهذيب: (٢/ ٣٤).

(٣) تهذيب التهذيب: (٦/ ١٩٧).

(٤) تهذيب التهذيب: (٦/ ١٩٧).

(٥) ميزان الاعتدال (٥/١).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

تطلب وتتحرى قولاً وعملاً باعتبارها أعمالاً عبادية يرجى أجرها ونفعها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله : ". فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي. وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم، وقال رحمه الله في موضع آخر: (فإنَّ التَّعاون نوعان: الأوَّل: تعاونٌ على البرِّ والتَّقوى: مِنَ الجهاد وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحقِّين؛ فهذا ممَّا أمر الله به ورسوله، ومن أمسك عنه خشية أن يكون من أعوان الظَّلمة فقد ترك فرضاً على الأعيان، أو على الكفاية متوهماً أنَّه متورِّعٌ، وما أكثر ما يشتهه الجبن والفشل بالورع؛ إذ كلُّ منهما كَفٌّ وإمساكٌ. والثَّاني: تعاونٌ على الإثم والعدوان، كالإعانة على دمٍ معصومٍ، أو أخذ مالٍ معصومٍ، أو ضرب من لا يستحقُّ الضَّرب، ونحو ذلك؛ فهذا الذي حرَّمه الله ورسوله (١)".

وقال الإمام ابن القيم . رحمه الله . في معرض حديثه عن صلح الحديبية الذي وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم من جهة ومشركي مكة من جهة: ". ومنها: -أي من فوائد صلح الحديبية- أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة، إذا طلبوا أمراً يُعْظَمون فيه حُرْمَةً مِنْ حُرْمَاتِ الله تعالى؛ أُجِيبُوا إليه، وأُعْطُوهُ، وأُعِينُوا عليه، وإن مُنِعُوا غَيْرَهُ، فُيَعَاوَنُونَ على ما فيه تعظيمُ حُرْمَاتِ الله، لا على كُفْرهم وبَغْيهم، ويَمْنَعُونَ ما سوى ذلك، فُكُلُّ مَنْ التَّمَسَّ بالمعاونة على مَحْبُوبِ الله تعالى، مُرْضٍ له؛ أُجِيبَ إلى ذلك، كائناً من كان؛ ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مَبْعُوضٌ لله أعظمُ منه، وهذا مِنْ أَدَقِّ المواضع، أو أَصْعَبِهَا، وأشَقَّهَا على النفوس " (٢). فهذا كلام العلماء يؤيد بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض، فينبغي لزوم طريقهم وأصولهم والحذر من اتباع غير سبيلهم، ولا شك أن من يرى حيل والأعياب ومكر كثير من المخالفين من أهل القبلة قد يتطرق إليه اليأس ويصيبه الإحباط مما يرى؛ فإن التعاون معهم في كثير من الميادين والمواقف يكون شاقاً على النفوس مستنفذاً للقوى ويتطلب مهارة وسياسة ودهاء وفقهاً يتمكن بها من يتعامل معهم من المرور في تلك المضائق وتوقفي تلك المزالق.

(١) السياسة الشرعية (ص ٣٩).

(٢) زاد المعاد (٣/٢٦٩).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

المبحث الثالث: من صور ومجالات التعاون المثمرة والممكنة مع طوائف أهل القبلة.

وفق المعتقد الثابت في مذهب أهل السنة والجماعة الذي يؤكد على وجوب إقامة شعائر الدين ومعامله والتعاون على بقائها قائمة ظاهرة مع كل من يتحقق على يديه ذلك الأمر برأكان أو فاجراً^(١).

ويمكن استحضار العديد من الصور والنماذج النبوية والسلفية المأخوذة من سيرته صلى الله عليه وسلم وهدية وهدى وسيرة صحابته والتابعين وتابعيهم بإحسان من أئمة الإسلام التي تعد شاهدة ومؤكدة على هذا الأصل العقدي الظاهر، ومن المجزوم به في كل هذه الصور والمواقف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجه قد راعوا فيها غاية النصح لله ولدينه ولعباده، وهذا أمر ينبغي استحضاره في جميع هذه المواقف والنماذج.

• النماذج النبوية في التعاون على الخير وتأيد الحق.

ففي سيرته صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأقوال ما يؤيد تعاونه في الخير والتأييد للحق مع كل من رأى أنه يتحقق على يديه ذلك ومنها:

. **حلف الفضول الذي شهده الرسول في الجاهلية:** فقد ذكر صلى الله عليه وسلم هذا الحلف الذي حضره في الجاهلية وأثنى عليه وعلى ما تم التحالف عليه، ففي حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لقد شهدت مع عمومي في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)^(٢).

وهذا الحلف في حقيقته تحالف لإقامة العدل ونفي الظلم، والشاهد منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) انظر: أصول السنة، الإمام أحمد (ص٤٤)، العقيدة الواسطية، ابن تيمية (ص١٢٩)، شرح الطحاوية (٣٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٥٥)، (١٩٣/٣) قال الشيخ أحمد شاكر عنه: إسناده صحيح. وهو في سيرة ابن هشام (٢٦٤/١)، وهذا الحلف (يسمى حلف الفضول لأن من قام به كان في أئمته الفضل، كالفصل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة) شهده رسول الله قبل الإسلام مع مجموعة من أعمامه وبعض وجهاء قريش، وتحالفوا بالله ليكونَ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرد إليه حقه. انظر: الروض الأنف. السهيلي (٤٥/٢).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

"ولو أَدعى به في الإسلام لأُجبت"، فلم يمنع ثناؤه صلى الله عليه وسلم عليه كونه في الجاهلية وأن طرفاه من كفار قريش، لأن الهدف من ذلك الحلف هدف سام يدعو له الإسلام وهو تعظيم حرمة البيت الحرام والتعاون في الحق ونصرة المظلوم والقيام معه حتى ينتصف له من ظلمه.

. صلح الحديبية وتعظيم حرمت البيت الحرام: فقد قبل صلى الله عليه وسلم خطة الصلح في الحديبية . على ما في ظاهرها من حيف على المسلمين . لما اشتملت عليه من تعظيم البيت الحرام ووضع الحرب وإشاعة السلم، وهذه المبادئ الجليلة من مقاصد الإسلام الأكيدة، وقد ذكر بعض أهل العلم أن مما يستفاد من هذا الصلح أن المشركين وأهل الفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمت الله تعالى، أجبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمت الله لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك^(١).

. تحالفات ومعاهدات الرسول مع القبائل بعد الهجرة إلى المدينة: فقد تحالف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قبيلة خزاعة بعد الحديبية . ولم تكن قد دخلت في حكم الإسلام بعد . وكانت تحمل له المودة، وكانت عيبة نصح له وللمسلمين، قال ابن حجر - رحمه الله - : "وفيه جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحتهم وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام على غيرهم، ولو كانوا من أهل دينهم، ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم، ولا يعد ذلك من الموالاة للكفار ولا موالاة أعداء الله، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم لبعض"^(٢).

. المودعة مع اليهود: لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان من أول أعماله أنه عقد مودعة مع اليهود، تضمنت هذه المودعة منع الاعتداء على الطرف الآخر أو مناصرة الأعداء من كلا الطرفين فالتزمها

(١) زاد المعاد (٣/٢٦٩).

(٢) فتح الباري (٥/٣٣٨).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

الرسول والمؤمنون ووفوا بما ونقضها اليهود^(١) من قريب كما هي عادتهم في نقض العهود ونبد المواثيق.

. **الموادعة مع القبائل:** عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من عهود الموادعة مع القبائل المجاورة للمدينة، القريب منها أو البعيدة ممن لا يؤمن شرها وتخشى معرفتها كما في غزوتي الأبواء وذوي العشيرة وغزوة ذات الرقاع وغزوة تبوك وغيرها من الغزوات^(٢).

• النماذج السلفية في التعاون على الخير وتأييد الحق.

وفي سيرة صحابته وأئمة الهدى من بعده صور ونماذج تفوق الحصر يظهر فيها امتثالهم لهدي النبي صل الله عليه وسلم في هذا الأمر المتمثل في إقامة شعائر الدين ومعالمة والتعاون على بقائها قائمة ظاهرة مع كل من يتحقق على يديه ذلك الأمر براً كان أو فاجراً ومنها:

. جهاد الصحابة ومن سار على نهجهم مع أئمة الجور:

. لما غزا الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بلاد الروم في منتصف القرن الأول الهجري سنة (٤٩هـ)، وبلغ القسطنطينية، كان معه جمع من الصحابة رضي الله عنهم منهم أبو أيوب الأنصاري، وابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن الزبير، فلم يكن ظلم يزيد وجوره مانعاً لهؤلاء الصحب الكرام أن يجاهدوا معه ضد أعداء الدين من النصارى الصليبيين^(٣)، وحصل بذلك الغزو عز للمسلمين وإرهاب لأعداء الله من الصليبيين ومن تملاً معهم من المنافقين المتربصين.

(١) انظر: السيرة النبوية. محمد أبو شهبه (٥٧/٢).

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٥٩١/١)، (٢١٠/٢)، وتاريخ الرسل والملوك، الطبري: (٤٠٣/٢، ٥٥٩) والسيرة النبوية، ابن كثير: (٣٦٣، ٣٥٦/٢).

الطبقات الكبرى ابن سعد: (٢٦٤/١).

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، (٣٢/٨)، وانظر: شرح كتاب: (إجماع السلف في الاعتقاد، لحرب الكرمان)، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري نسخة إلكترونية (٥٩).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

. ثناء الأئمة على من نصر السنة وقمع البدعة من الولاة:

مما أثبتته التاريخ الإسلامي في حوادثه أن أهل السنة والجماعة في وقائع مشهودة ومحمودة قد أثنوا على ما فعله بعض الخلفاء والولاة من الأمويين والعباسيين ومن بعدهم نصره للدين وغيره لرب العالمين من إقامة حكم الله العادل في غلاة المبتدعة والزنادقة ورؤوس الفتنة والضلال في زمانهم (كالجعد بن درهم، ومعبد الجهني، وغيلان الدمشقي، والجهم بن صفوان، والحلاج، والسهورودي، وابن الراوندي) بما كف شرهم وقطع دابر بدعتهم وفتنتهم وضلالهم، وإن كان بعض هؤلاء الولاة لم يكونوا في أنفسهم من أهل السنة المحضة والإتباع الكامل، وإنما كان الاعتبار في الثناء عليهم وحمدهم بما تحقق بأفعالهم من نصره الدين والذب عن الملة وإقامة الشريعة^(١).

. الحظر والاعتقاد (القادريان) في التصدي للمد الباطني.

لما اتسع المد الباطني في أواخر القرن الرابع الهجري وعظم خطره وامتد نفوذه بقيام دولة العبيديين الإسماعيلية المسماة زوراً ب(الفاطمية) وهم كانوا في حقيقتهم زنادقة مرتدون أدعياء للنسب العلوي، ما كان من الخليفة العباسي في ذلك الوقت القادر بالله (ت ٤٢٢ هـ) - في سبيل مواجهتهم - إلا أن عمل محضراً موقعاً من كافة طوائف الأمة وعلمائها وأمرائها يتضمن كشف حقيقة نسبهم ويبين حقيقة مذهبهم وأنهم مجوس ويهود أدعياء زنادقة وكفار ملحدون ليسوا من أهل البيت، وإنما نسبتهم الحقيقية إلى ديسان الخرمي^(٢)، وأنهم خليط من أبناء المجوس واليهود. وقد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف^(٣). كما عمد الخليفة قبل ذلك إلى تصنيف كتاب سماه " الاعتقاد القادري " سنة (٤٢٠ هـ) جمع فيه اعتقاد أهل الحق وبيان ما يخالفه من عقائد أهل الإلحاد والزندقة، وقد أقره على ذلك العلماء وقرئ في الجوامع وحمله الحجيج إلى أطراف الأرض وذلك

(١) - انظر: الفرق بين الفرق (٢٣٣).

(٢) ديسان الخرمي: هو ديسان بن سعيد الخرمي زنديق مجوسي كان يظهر التشيع لآل البيت وله كتاب في الزندقة يسمى الميزان في الزندقة، انظر النجوم الزاهرة

(٢٢٩/٤) سير أعلام النبلاء (٤٢٢/١١)

(٣) انظر: البداية والنهاية/لابن كثير (٣٤٥/١١).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

من أجل إظهار الإسلام والسنة ونقض عقائد الزنادقة والملاحدة والمبتدعة، وكان لهذه المواقف الحميدة من الخليفة العباسي القادر بالله وما تبعها من جهود في مقاومة الخطر الباطني. في ذلك الوقت وبعده. أثرها البالغ في دفع علماء الإسلام من كافة طوائف أهل القبلة إلى التعاون في الرد على الباطنية وكشف أسرار مذهبهم الباطل وفضح مخططاتهم وزندقته^(١).

في الجهاد ضد الصليبيين، والتتار، ومقاومة الغزاة، والمعتدين.

يمكن استحضار العديد من المشاهد والنماذج والمواقف المشرفة لتعاون أهل الإسلام من شتى الطوائف في مواجهة أعداء الإسلام وأنهم متى فعلوا ذلك كتب لهم الظفر والعزة والتمكين ومن هذه المشاهد ما يأتي:

١. لما خرج السلطان صلاح الدين الأيوبي لجهاد الصليبيين الذين استولوا على فلسطين وأجزاء من بلاد الشام وجهاز الجيوش لتلك المهمة العظيمة خرج معه جماهير الأمة وعلمائها لاسيما من أهل السنة من أهل الشام ومصر ولم يمنعهم كون صلاح الدين رحمه الله وكافة سلاطين دولة بني أيوب ممن انتحل مذهب الأشاعرة وعقدوا الخناصر على تعليمه ونشره^(٢) أن يكونوا في مقدم جيشه ويبلوا بلاءاً شديداً في قتال الصليبيين حتى تم النصر والظفر بحمد الله في معركة حطين سنة (٥٨٣ هـ) وما تلاها من الملاحم.

٢. ولما دهم التتار بلاد الإسلام وأسقطوا الخلافة العباسية سنة (٦٥٦ هـ) وشرعوا في مهاجمة بلاد الشام ومصر أظهر شيخ الإسلام ابن تيمية ومعه جمع من متابعيه شجاعة نادرة وثباتاً في وجوه هؤلاء الأعداء فقام في الناس في بلاد الشام ومصر يستنهض همهم لجهاد هؤلاء المعتدين ويستصرخ السلاطين من حكام بلاد الشام ومصر -على ما كانوا فيه من التفرق والضلال والبدع- ليجردوا الجيوش لملاقاة العدو ويعدهم النصر ويأمرهم بالصبر حتى تحدث الكلمة وتناسى الناس خلافاتهم واجتمعت الجموع لجهاد التتار المعتدين فتم للمسلمين الظفر والنصر المبين

(١) ومن ذلك: كتاب/كشف الأسرار وهتك الأستار (لللباقلائي الأشعري)، الرد على الباطنية، لعلي بن سعيد الاصطخري (أحد شيوخ المعتزلة)، وفضائح الباطنية. (للغزالي الأشعري المعتزل الصوفي). انظر: البداية لابن كثير (١١/٣٤٦-٣٥٢).

(٢) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريري (٢/٣٥٨).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

عليهم في معركة شقحب سنة (٧٠٢هـ) (١).

٣. وقبل ذلك كان للإمام العز بن عبد السلام ومعه جمع من العلماء من أهل مصر دور بارز في جمع الناس من جميع الطوائف وتوحيد صفوفهم وحثهم على مواجهة التتار والإفتاء بجواز جمع الأموال من الرعية وفرض الضرائب على الجميع والبداءة بالأمرء والوزراء والقادة فاجتمعت الكلمة وتوحدت الصفوف، وكتب الله النصر للمبين للمسلمين على التتار المعتدين في معركة (عين جالوت. عام ٦٥٨ هـ) المجيدة في تاريخ الإسلام (٢).

. إظهار المعتقد الحق الذي يجب اتباعه ببيان تناقض مقولات الفرق المختلفة:

وهذا مثال من أمثلة التعاون الممكنة بين أهل الإسلام للوصول إلى الحق وتخليصه من شوائب الباطل ومن صور مجالات التعاون المثمرة التي تجتمع فيها جهود أهل الإسلام وتتحد فيها كلمتهم على الحق، وللوصول إلى هذا المقصد وتحقيق هذه الغاية التي يستبين بها سبيل النعم عليهم من الضالين يمكن الاستفادة من ردود طوائف أهل القبلة بعضهم على بعض وردودهم على أهل الكفر والزندقة والإلحاد.

وقد كان لعلماء المسلمين في مختلف العصور طرائق وأساليب في هذا المجال من محاورة أهل الضلال وكشف انحرافهم عن المنقول ومخالفتهم للمعقول في مقالاتهم التي يخالفون فيها أهل الحق، منها ذكر الإيرادات والاعتراضات التي يذكرها المخالفون للحق في رد بعضهم على بعض وتوظيفها في نقض باطلهم وإسقاط حججهم، وبيان ما هو الحق الذي يجب اتباعه والإدعان له في تلك المقالات.

ومن ذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في منهجه في تقويض أفكار المنحرفين والمبطلين كان يلجأ إلى اعتماد رد بعضهم على بعض وتوظيف تناقضهم لنقض مبادئهم؛ ولذا فهو يؤكد على: "أن المناظرة تارة تكون بين الحق والباطل، وتارة بين القولين الباطلين لتبيين بطلانهما أو بطلان أحدهما، أو كون أحدهما أشد بطلاناً من

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٥/١٤)، و مجموع الفتاوى (٢٧٠/٣ - ٢٧١ - ٢٧٧).

(٢) العز بن عبد السلام، محمد الزحيلي، (١٩-٢٢)، عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطر، الدكتور شوقي أبو خليل، (٧٤).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

الأخر، فإن هذا ينتفع به كثيراً في أقوال أهل الكلام والفلسفة، وأمثالهم ممن يقول أحدهم القول الفاسد، ينكر على منازعه ما هو أقرب منه إلى الصواب فيبين أن قول منازعه أحق بالصحة إن كان قوله صحيحاً وأن قوله أحق بالفساد، وإن كان قول منازعه فاسداً لتقطع بذلك حجة الباطل فإن هذا أمر مهم^(١)، وقد ذكر رحمه الله فائدة دقيقة في معرفة ردود المبتدعة على بعضهم بعضاً، فقال: "... وعلم الإنسان باختلاف هؤلاء ورد بعضهم على بعض، وإن لم يعرف بعضهم فساد مقالة بعض، هو من أنفع الأمور، فإنه ما منهم إلا من قد فصل مقالته طوائف، فإذا عرف رد الطائفة الأخرى على هذه المقالة عرف فسادها، فكان في ذلك نهي عمّا فيها من المنكر والباطل، وكذلك إذا عرف رد هؤلاء على أولئك، فإنه يعرف ما عند أولئك من الباطل، فيتقي الباطل الذي معهم. ثم من بين الله له الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم - إمّا أن يكون قولاً ثالثاً خارجاً عن القولين، وإمّا أن يكون بعض قول هؤلاء وبعض قول هؤلاء، وعرف أنّ هذا هو الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وعليه دلّ الكتاب والسنة - كان الله قد أتمّ عليه النعمة إذ هداه الصراط المستقيم، وجنّبه صراط أهل البغي والضلال، وإن لم يتبين له: كان امتناعه عن موافقة هؤلاء على ضلالهم، نعمته في حقه، واعتصم بما عرفه من الكتاب والسنة مجملًا، وامسك عن الكلام في تلك المسألة، وكانت من جملة ما لم يعرفه"^(٢)، وبعد ذكره للسجال الحاد، بين المعتزلة والأشعرية، حول كلام الله وأفعال العباد، قال: "وهذا أعظم ما يستفاد من أقوال المختلفين الذين أقوالهم باطلة، فإنه يستفاد من قول كل طائفة بيان فساد قول الطائفة الأخرى، فيعرف الطالب فساد تلك الأقوال، ويكون ذلك داعياً له إلى طلب الحق"^(٣).

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر فيقول: "والمقصود أنّ كُتِبَ أهل الكلام يستفاد منها ردّ بعضهم على بعض، وهذا لا يحتاج إليه من لا يحتاج إلى ردّ المقالة الباطلة لكونها لم تخطر بقلبه، ولا هناك من يخاطبه بها، ولا

(١) دره تعارض العقل والنقل (٢٠٦/٤).

(٢) منهاج السنة (٢٨١/٥ - ٢٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٣١٤/٢).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

يطالع كتابًا هي فيه. ولا ينتفع به من لم يفهم الردّ، بل قد يستضرُّ به مَنْ عرف الشبهة ولم يعرف فسادها. ولكنَّ المقصود هنا أنَّ هذا هو العلم الذي في كُتُبهم، فإنهم يردُّون باطلاً بباطلٍ، وكلا القولين باطلٌ" (١).

وقال مخاطباً الرافضة: "وأنتم تعلمون أنَّ أهل الحديث يبغضون الخوارج، ويروون فيهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة صحيحة، وقد روى البخاري بعضها، وروى مسلمٌ عشرة منها، وأهل الحديث متديتُون بما صح عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومع هذا: فلم يحملهم بغضهم للخوارج على الكذب عليهم، بل جربوهم فوجدوهم صادقين" (٢).

وقال في وصف أئمة السُنَّة والسلف: "...وهم يذمُّون أهل الكلام المبتدع الذين يردُّون باطلاً بباطل، وبدعة ببدعة، ويأمرون ألا يقول الإنسان إلا الحق، لا يخرج عن السُنَّة في حال من الأحوال، وهذا هو الصواب الذي أمر الله - تعالى - به ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا لم نردِّ ما تقوله المعتزلة والرافضة من حق؛ بل قبلناه، لكن بيَّننا أنَّ ما عابوا به مخالفهم من الأقوال، ففي أقوالهم من العيب ما هو أشدَّ من ذلك" (٣).

كشفت مخططات المنصرين والمستشرقين في توهين قوة المسلمين وخدمة المستعمرين.

من صور ومجالات التعاون المثمرة التي يمكن أن تجتمع فيها جهود أهل الإسلام وتتحد فيها كلمتهم على الحق كشف الدور الخطير والشري الذي يضطلع به كثير من المستشرقين والمنصرين الذين اتجهوا بدراساتهم ومشاريعهم نحو بلاد المسلمين، فإن مما أكده التاريخ والواقع أن أكثر المستشرقين كانوا من منسوبي الكنائس النصرانية ورجالها المتحمسين الذين يحملون في نفوسهم أهداف التنصير ومخططاته^(٤)، كما أن المنصرين اعتمدوا على بحوث المستشرقين ومؤلفاتهم ورسائلهم وخبراتهم العلمية والمعرفية واستفادوا منه ووظفوها في حملاتهم التنصيرية^(٥)، ولقد كان المنصرون

(١) منهاج السنَّة، لابن تيمية (٢٨٣/٥). وانظر: مجموع الفتاوى (١١/٤ - ١٣).

(٢) منهاج السنة (١٢/٧: ٤١٣).

(٣) منهاج السنة (٣٤٢/٢).

(٤) انظر: المستشرقون. نجيب العقيقي. دار المعارف. القاهرة ١٩٨١ م.

(٥) انظر: المستشرقون والتنصير، علي بن إبراهيم النملة. وانظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض الجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

والمستشرقون بمثابة الطلائع المتقدمة لجيوش الاستعمار، وهم الممهدون للسيطرة الغربية على بلاد المسلمين ومواردهم وخيراتهم.

وأخيراً فإن موضوع التعاون مع طوائف أهل القبلة من الموضوعات الدقيقة في فهمها ومسلكتها، والمتنوعة في صورها ومواقفها والتي تختلف أحكامها باختلاف النوازل والأحوال، وهو ما يجعل من تقدير حجم المصالح والمفاسد فيها إقداماً وإحجاماً أمراً في غاية الدقة والخطورة، ولذلك فإنها تتطلب تشاوراً بين أهل الحل والعقد وأرباب الرأي والمشورة من ولاة الأمور، كما أنها في الوقت نفسه تتطلب فهماً وعمقاً من أهل العلم والبصيرة في الدين وتؤدة وروية من أهل الحل والعقد والسياسة من ولاة الأمور.

المبحث الرابع: ما ورد في التأكيد على أخذ الحذر والاحتياط في التعامل مع المناوئين وأهل الريبة من

المنافقين.

تؤكد النصوص الواردة في الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين على هذه المعاني، ومنها:

• من نصوص القرآن الواردة في هذا المعنى.

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحث المؤمنين على وجوب أخذ الحيطة وتمام الحذر في التعامل مع من ثبت حسدهم وكرههم ومكرهم بالمؤمنين من طوائف المشركين والكفار والمنافقين الذين لا يدخرون جهدهم في إضلال المؤمنين وإضعافهم وتفريق كلمتهم ولا يألونهم خبلاً ولا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة، ومن ذلك: قوله تعالى (وَلَا تَزْكُمُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (هود: ١١٣). وقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (الأنعام: ٦٨). وقوله تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ

للاستعمار الغربي، مصطفى خالدي وعمر فروخ.

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

اللَّهِ يُكْفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِنَّمُهُمُ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) (النساء: ١٤٠). وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (١١٨: آل عمران). وقوله تعالى (وَإِذَا حَلَلُوا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران: ١١٩).

والآيات في هذا المعنى كثيرة ومن مجموع هذه النصوص القرآنية الكريمة يتبين أن الكيد والمكر والعداوة الظاهرة والباطنة، والمبادئة بها؛ كانت وما تزال صفات ثابتة قبي أعداء الرسل من المشركين والكفار والمنافقين على اختلاف أمصارهم وتعاقب أعصارهم، فما من نبي ولا أتباع نبي إلا كاد لهم أعداؤهم ومكروا بهم وعادوهم وظاهروا من يعاديهم، وتلك سنة ماضية في القرون يلقتها أتباع الرسل من أعدائهم، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا مَجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، ففي كل زمان وفي كل مكان وفي كل مدينة وفي كل قرية مجرمون يكيدون بأهل الإيمان ويمكرون بهم، ويسعون لاجتثاثهم، ويؤذونهم في دينهم.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد مكر به المشركون واليهود والمنافقون، وأجمعوا كيدهم ضده، فحاولوا قتله أكثر من مره، وسموه وسحروه وأخرجوه، وعذبوا أتباعه، وصدوا عن دعوته، وما تركوا مكرًا إلا مكروهه، ولا كيدًا إلا فعلوه، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ بِاللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وأمره الله تعالى أن يتحداهم ومكرهم، وأن يعلن توكله عليه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٥-١٩٦].

إن هذا المكر والعداء الذي يتعاون عليه شياطين الإنس والجن، يظهره في صورة مزخرفة يلبسون بها على الناس كما قال تبارك وتعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (سورة الأنعام: ١١٢).

د. صالح بن غرور الله بن حسن آل حسن الغامدي

وهذا الزخرف مع غروره وبطلانه وظهور فساده فإنه تصغى إليه أفئدة ضعفاء الإيمان واليقين من الأعراب والمنافقين الظانين بالله ظن السوء كما قال تعالى عنهم ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١١٣).

وقد تبين من عموم الآيات السالفة أن جميع الرسل عليهم السلام ومعهم أتباعهم من المؤمنين قد مكر بهم أقوامهم، وكادوا لهم، وأن أولي العزم منهم قد نالوا أشد الكيد والمكر؛ فعلم أن الأصل في الكفار والمنافقين أنهم يكيّدون للمؤمنين، ويمكرون بهم باطنًا وظاهرًا، وتبين منها أيضًا أن مكر الكفار المنافقين بالمؤمنين سنة ماضية وباقية إلى يوم القيامة، فعلى المؤمنين أن يأخذوا حذرهم منهم ويكونون من كيدهم ومكرهم على بصيرة ودراية، لئلا ينخدعوا بهم وتنطلي عليهم مظاهر نفاقهم وأحابيل شياطينهم وفي الوقت نفسه لا يجزعوا مما قد يصيبهم ولا يأسوا على ما فاتهم ما داموا على الحق والهدى، ولا يتنازلوا عن شيء من دينهم، بل يواجهوهم بالتوكل على الله تعالى، والاعتصام بحبله، والاجتماع على كلمة سواء؛ فإن كيد الكفار والمنافقين وأهل الأهواء ومكرهم لا يمضي في المؤمنين إلا في حال اختلافهم وفرقتهم وتمزقهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)، وإلا إذا اعتصموا واتحدوا على الحق وصبروا فإنهم منصورون لا محالة، ولا يمكن أن يدل الله عليهم عدوهم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

وقال ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، بل يجعل الله كيد الكفار في ضلال وعاقبة أمرهم في سفال قال سبحانه ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٢٥)، وفي آية أخرى ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ١٨) وقال في أصحاب الفيل ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (الفيل: ٢).

• من نصوص السنة وأقوال السلف الواردة في هذا السياق.

وردت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين نصوص تحث المؤمنين على وجوب أخذ الحيطة وتمام الحذر في التعامل مع من ثبت حسدهم وكرههم ومكرهم بالمؤمنين من طوائف المشركين والكفار والمنافقين منها:

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

- نصوص السنة:

١. حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان"^(١).
٢. حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"^(٢).
٣. حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن شرَّ الناسِ ذُو الوجهينِ الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ وهؤلاءِ بوجهٍ"^(٣).
٤. حديث عائشة- رضي الله عنها- "أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: بمس أخو العشيرة أو بمس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره"^(٤).
٥. حديث: "لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل"^(٥).

- (١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨٩/١) قال الشيخ أحمد شاكر في تخريج الحديث: إسناده صحيح، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه: إسناده قوي: انظر: تخريج المسند رقم (١٤٤).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٣٣) في كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (٣١/٨)، ومسلم في صحيحه (٢٩٩٨) في كتاب الزهد والرفائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٢٢٩٥/٤).
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب ما قيل في ذي الوجهين (٧١/٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس (١٩٥٨/٤).
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً (١٣/٨)، وباب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد (١٧/٨).
- (٥) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٩٧٧) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم (١٠٠٧٣)، وأحمد في المسند حديث رقم (٢٢٩٣٩). وقال

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

٦. حديث: عائشة قالت: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات... إلى أولوا الأبواب) (آل عمران: ٧)، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابهه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"^(١).

آثار السلف في هذا المعنى.

أكد السلف على أهمية فهم الموقف الشرعي من أهل البدع والضلال والريبة والنفاق ووجوب البعد عنهم والحذر من ضلالهم ومكربهم، ومن بعض ما ينقل عنهم في هذا الباب وقريب منه ما يأتي:

١. الأثر المروي عن عمر رضي الله عنه وهو قوله: "لست بالخب ولا الخب يخدعني"^(٢)، ويروى من قول إياس بن معاوية رحمه الله بلفظ "لست بخبٍ، والخب لا يخدعني"^(٣)، قال ابن القيم، في كتاب الروح: "وكان عمرٌ أَعْقَلَ من أن يُخَدَّع، وأورَع من أن يُخَدَّع"^(٤)، وقال المغيرة بن شعبة: "ما رأيتُ أحدًا أَحَزَمَ من عمر؛ كان -والله- له فضلٌ يَمْنَعُه أن يُخَدَّع، وعقلٌ يَمْنَعُه أن يُخَدَّع"^(٥).

٢. قال ابن مسعود رضي الله عنه: وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء

الألباني: صحيح انظر: صحيح الجامع حديث رقم (٧٤٠٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات.. (١٦٥/٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن تتبع متشابه القرآن (٢٠٥٣/٤).

(٢) اشتهر نسبة هذا الأثر لأمر المؤمنين، أبي حفص، عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه وذلك لوقوعها في كتب شيخنا الإسلام: أبي العباس، ابن تيمية، وأبي عبد الله، ابن القيم، معزوة له، فقد وقعت في مجموع الفتاوى" (٣٠٢/١٠)، وإعلام الموقعين" (٢٤١/٣)، و"الروح" (ص ٢٤٤)،

(٣) أخرجه ابن قتيبة، في عيون الأخبار (٣٢٧/١)، ووكيع في "أخبار القضاة" (٣٤٨/١)، ومن طريقه ابن عساكر، في "تاريخ دمشق" (١٩/١٠).

(٤) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت، (ص ٢٤٤)

(٥) بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (ت ٨٩٦هـ)، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام - العراق، الطبعة: الأولى، د.ت، (٤٩٩/١).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

ظهورهم، عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق^(١).

٣. قال أبو الجوزاء عن بغض أهل الأهواء وحب الابتعاد عنهم: "والذي نفسي بيده لأن تمتلئ داري فردة وخنازير جيرانني معي في داري أحب إلي من أن يجاورني رجل منهم"^(٢)، يعني أهل الأهواء.

٤. وكان الحسن يقول: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم"^(٣).

ولما كانت البدع لها خطر عظيم على الدين، كانت حال السلف مع أهلها في غاية القوة والصرامة في معظم الأحوال في مواقفهم الاحتسابية العملية، أو في مقالاتهم ومصنفاتهم، ومن ذلك عقدهم أبوابًا في مصنفاتهم، تبين موقفهم من أهل البدع، فقد عقد الإمام أبو داود في سننه بابين سمي الأول: (باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم) والثاني: "باب ترك السلام على أهل الأهواء"^(٤)، والإمام المنذري عقد في كتابه الترغيب والترهيب باب سماه "الترهيب من حب الأشرار وأهل البدع"^(٥)، وللنووي في كتابه الأذكار: "باب التبري من أهل البدع والمعاصي"^(٦)، وكذلك في كتب العقيدة، ففي كتاب الاعتقاد للبيهقي "باب النهي عن مجالسة أهل البدع"^(٧).

٥. وقال شيخ الإسلام في هذا الباب: "...وهكذا هؤلاء الاتحادية؛ فرؤوسهم هم أئمة كفرٍ، يجب قتلهم ولا تقبل توبة أحدٍ منهم إذا أخذ قبل التوبة، فإنه من أعظم الزنادقة الذين يظهرون الإسلام ويطنون أعظم الكفر، وهم الذين يفهمون قولهم ومخالفتهم لدين المسلمين. ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدرى

(١) البدع والنهي عنها، لابن وضاح (٣٢).

(٢) ابن سعد في الطبقات (١٦٧/٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٣٣/١).

(٤) انظر: سنن أبو داود (٩/٧)، و(١١/٧).

(٥) انظر: الترغيب والترهيب (٨/٤).

(٦) انظر: الأذكار (ص ٤٩٥).

(٧) انظر: الاعتقاد (ص ٢٣٦).

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

ما هو؟!، أو قال: إنَّه صنف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل مَنْ عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم، فإنَّ القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنَّهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل الله^(١).

فضررهم في الدين أعظم من ضرر مَنْ يفسد على المسلمين دنياهم ويترك دينهم؛ كقطاع الطريق وكالتتار الذين يأخذون منهم الأموال وييقون لهم دينهم، ولا يستهين بهم مَنْ لم يعرفهم، فضلالهم وإضلالهم أعظم من أن يوصف، وهم أشبه الناس بالقرامطة الباطنية، ولهذا هم يريدون دولة التتار ويختارون انتصارهم على المسلمين؛ إلا مَنْ كان عامياً من شيعهم وأتباعهم، فإنه لا يكون عارفاً بحقيقة أمرهم!، ولهذا يقرون اليهود والنصارى على ما هم عليه، ويجعلونهم على حق، كما يجعلون عباد الأصنام على حق، وكل واحدة من هذه من أعظم الكفر.^(٢)

ومن كان محسناً للظن بهم وادَّعى أنه لم يعرف حالهم: عُرِفَ حالهم؛ فإنَّ لم يباينهم ويظهر لهم الإنكار وإلا أُلْحِقَ بهم وجعل منهم! وأما مَنْ قال: لكلامهم تأويل يوافق الشريعة!؛ فإنه من رؤوسهم وأئمتهم!، فإنه إن كان ذكياً فإنه يعرف كذب نفسه فيما قاله، وإن كان معتقداً لهذا باطناً وظاهراً فهو أكفر من النصارى؛ فمَنْ لم يُكْفِر هؤلاء، وجعل لكلامهم تأويلاً كان عن تكفير النصارى بالتثليث والاتحاد أبعد.^(٣)

ومن مجمل هذه النصوص النبوية والأثار السلفية تتبين أهمية أن يكون أهل الإيمان على بصيرة بأحوال أعدائهم وأساليبهم في التعامل والخطاب، حتى لا يؤخذوا على حين غرة ولا يؤتوا من المأمن وأن من أعظم أسباب الثبات والقوة في مواجهة الأعداء من الكفار والمنافقين هو الحذر من خدعهم ومكرهم ومعاملتهم بما يقتضيه حالهم في السلم، والحرب، والمهادنة، والمخادعة.

(١) مجموع الفتاوى (١٣١/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣٢/٢-١٣٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣٢/٢-١٣٣).

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

المبحث الخامس: شروط ومحاذير التعاون مع طوائف أهل القبلة، وفيه مطلبان:

لا تعني الدعوة إلى جمع شمل المسلمين جميعاً تحت راية ومدلول أهل القبلة التنازل عن ثوابت الإسلام أو التهوين من العقيدة الصحيحة أو الرضا بالإساءة إلى مقامات العظماء من الصحابة أو التغافل والتغاضي عن البدع والخرافات وقبولها، أو التساهل في بيان الكفر وتطبيق حكمه على من ثبت في حقهم، أو غير ذلك مما له علاقة بأحكام الإسلام وقواعده الكلية، بل المراد من هذه الدعوة الخروج من الضعف والتشتت الذي يعاني منه جمهور المسلمين في كل أصقاع الأرض، والتمسك بجبل الإسلام من غير تفريط ولا إفراط، والانشغال بالاجتماع على الأصول، وعدم الانجرار وراء مسائل فرعية تتسع للجميع، وتقديم مصلحة الدين والأمة على مصلحة المذهب أو الطائفة، لكي يستعيد الإسلام رونقه ويستعيد المسلمون مكائدهم بين الأمم، ليتحقق فيهم قول الباري: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣). ومن خلال كل ما سبق يتبين أن التعاون مع أهل القبلة بأشكاله وصوره المختلفة من دينية ودينية له شروط لا بد من توافرها، ومحاذير لا بد من توخي الحذر من الوقوع فيها ولعلي أشير - هنا - إلى بعض هذه الشروط وتلك المحاذير من خلال المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: شروط وضوابط التعاون معهم.

من الشروط التي أكد عليها علماء أهل السنة والجماعة في حال التعاون مع طوائف أهل القبلة ما يأتي:

- ١- أن يكون التعاون معهم في المعروف والمعتبر شرعاً وفي دائرة الحق الذي يقبله الشرع والخير الذي يحبه الله الذي فيه نفع وقوة للمسلمين في دينهم ودنياهم، ومن ذلك العلم والجهاد والدعوة ورد كيد الأعداء وعدوانهم.
- ٢- أن يتحقق الاجتماع والتعاون مع طوائف أهل القبلة من خلال إتباع ما تقضي به نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) فإن المصالح الوطنية أو العرقية المجردة وما أشبهها لا تورث اجتماعاً ولا تعاوناً يثمر ويبقى كما هو مشاهد ومجرب.

- ٣- مراعاة واعتبار مقادير المصالح والمفاسد في التعاون مع طوائف أهل القبلة، فإذا كان التعاون معهم يؤدي إلى تحصيل مصلحة أعظم أو درء مفسدة أكبر فإنه يتعين التعاون معهم وفق هذا المفهوم الذي يعد من أبواب السياسة الشرعية وقواعد الشرع المرعية.

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

٤- إدراك أن المنتسبين إلى القبلة ليسوا سواء في مواقفهم من الحق وأهله، فهم متفاوتون في هذا الباب، فمنهم من لا يرجى نفعه، ولا يؤمن أذاه كالطوائف والمذاهب الذين تقوم مذاهبهم على العداة والبغض والمخالفة التامة لأهل الحق والوقوف مع كل عدو للإسلام والمسلمين، ومن أهل القبلة من هو قريب من الحق محب للحق وناصر له، حسن الرأي والمعتقد في مخالفته من أهل الإسلام فهذا من يرجى نفعه ويؤمن جانبه.

٥- لا بد عند التعاون مع طوائف أهل القبلة من مراعاة نوعية التعامل وحجم التعاون فإن مجالات التعاون كثيرة ومتنوعة، والتعاون فيها يختلف باختلاف النوازل والأحوال المكانية والزمانية، وهذا يتطلب التشاور بين أهل الرأي حتى يقدروا لكل حالة قدرها وحكمها.

٦- أن يتم استفراغ الوسع في تحصيل مجالات التعاون الأبعد عن الاشتباه والشك بحيث لا يتبقى سبيل آخر يتحقق به تحصيل أعظم المصلحتين، أو دُفِعَ أعظم المفسدتين إلا بالتعاون مع المخالف من أهل القبلة.

٧. مَنْ أراد أن يمضي في هذا السبيل سبيل التعاون وجمع الكلمة فليتحلَّ بالصبر، وإلا فلا يشقُّ على نفسه وعلى المسلمين، وليكفَّ عن الناس أذى لسانه وبنانه، فهو صدقةٌ منه على نفسه، وليس لأحدٍ عُذرٌ في أن يُردَّ على الباطل بالباطل، والبدعة بالبدعة أبداً.

٨. الحرصُ على جمع الناس على كلمةٍ سواءٍ، وذلك أن المسلمين مأمورون بالاعتصام بحبل الله، ولا يصلح اجتماعهم على غيره أصلاً، فكل جهد في هذا المجال ونحو تحقيق هذا المقصد الشرعي العظيم؛ فليكن بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. (١)

المطلب الثاني: محاذير التعاون معهم ومسوغاتها.

أما المحاذير التي لا بد من توخي الحذر من الوقوع فيها فمنها:

١- أن يتخذ المخالفون للحق من طوائف أهل القبلة من هذا التعاون والاجتماع ذريعةً لنشر بدعهم وأهوائهم أو سبباً لتقوية مراكزهم ونفوذهم على حساب أهل الحق ونفوذهم وقوتهم ومعتقدهم.

(١) انظر تفصيل هذه الشروط: مقالات موقع الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين، موقع الدرر السنية dorar.net.

التعاون مع طوائف أهل القبلة : أحكامه وحدوده وضوابطه

- ٢- أن يؤدي حجم التعاون ونوعه والحرص على الاجتماع مع طوائف أهل القبلة إلى أن يتخلى أهل السنة والجماعة عن شيء من خصائصهم الاعتقادية والمنهجية أو التهاون في إنكار منكرات أهل الأهواء والبدع مع القدرة، أو السكوت عن مناصحتهم ودعوتهم للحق بالحجة والبرهان.
- ٣- أن يكون في التعاون والاجتماع معهم ما يؤدي إلى اختلاط الحق بالباطل، أو أن يحمل على اعتقاد التزكية والقبول لطرائق أهل الضلال والبدع، أو التساهل في بيان أخطائهم وضلالهم.
- ٤ - أن يؤدي حجم التعاون ونوعه إلى وقوع مفسدة مساوية للمصلحة المتحققة من التعاون أو غالبية عليها في الحال أو في المال، وهذا ما يمنعه صحيح النقل وصريح العقل.

الخاتمة:

- في ختام هذا البحث يمكنني رصد أبرز النتائج التي توصل إليها في النقاط الآتية:
١. حدد البحث أهل القبلة بأنهم كل من ينتسب إلى الإسلام ويستقبل قبلة المسلمين، ويأكل ذبيحتهم، وإن كان من أهل الأهواء أو المعاصي التي لا تخرج من الملة.
 ٢. يقصد بالتعاون مع طوائف أهل القبلة: تمكينهم أو مشاركتهم أو الاستعانة بهم في أعمال ومواقف خاصة أو عامة يتحقق بها مصلحة أو دفع مضرة أو تلجئ إليها ضرورة.
 ٣. مذهب أهل السنة أهل والجماعة يؤكد على وجوب إقامة شعائر الدين ومعامله والتعاون على بقائها قائمة ظاهرة مع كل من يتحقق على يديه ذلك الأمر برأكان أو فاجراً.
 ٤. في الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين الكثير من النصوص في الحث على مبدأ التعاون في الخير والتأييد للحق وقبوله وتفصيل القول فيه.
 ٥. هناك فرق كبير بين التعاون مع طوائف أهل القبلة على أمر فيه خير ونفع وقوة للمسلمين، أو في دفع ما فيه ضرر وخطر محقق مستبين، وبين الانتساب إلى المذاهب البدعية أو الرضى بما هي عليه من الباطل

د. صالح بن غرر الله بن حسن آل حسن الغامدي

- وعدم إنكاره.
٦. لا يلزم من التعاون مع طوائف أهل القبلة الوقوع في المحاذير والمنزقات البدعية فيما يقرره أهل الحق ويسلكونه.
٧. مفهوم أهل الحق للتعاون لا يعني التخلي عن شيء من خصائصهم الاعتقادية والمنهجية، أو أن يتهاونوا مع مخالفهم في إنكار المنكرات وكشف البدع والرد على الضلالات والمخالفات ومناصحتهم بالحجة والبرهان.
٨. المشركون وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة، إذا طلبوا أمراً يُعْظَمون فيه حُرْمَةً مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ أُجِيبُوا إِلَيْهِ، وَأَعْطَوْهُ، وَأُعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ مُنِعُوا غَيْرَهُ، فَيُعَاوَنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَعْظِيمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ، لَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَيَعْيِهِمْ، وَيُتَعَوَّنُ مَا سِوَى ذَلِكَ.
٩. كل من قل علمه وقصر نظره عن الجمع بين التمسك بأصول السنة وبين التعامل الشرعي مع المخالفين من طوائف أهل القبلة، قد يظن أن هؤلاء المخالفين تسقط كل حقوقهم الشرعية أو أن العدل معهم ضعف وتهاون أو أنه لا يجوز بحال التعاون معهم فيما فيه نفع وبر وخير للمسلمين.
١٠. قد يؤيد الله عز وجل هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، لاسيما في حال القتال أو مجاهدة الأعداء بالقلم، واللسان، والسيف، والسنان.
١١. لا مانع من التعاون مع بعض المخالفين للحق في المتفق عليه معهم من أصول الدين ومصالح الدنيا ضد من هم أغلظ منهم في المخالفة والابتداع وفقاً لقاعدة ارتكاب أخف الضررين.
١٢. للتعاون مع طوائف أهل القبلة شروط أكدت عليها قواعد الشريعة لا بد من توفرها ومن الإحاطة بها وفهمها وتمييز مراتبها وأولوياتها، ومحاذير بينها نصوص الشريعة والأحوال والوقائع البشرية ينبغي استحضارها وتوقي الوقوع فيها.